يأتي دور الشعر التحريضي وكأنه بدأ ينحني لمأساوية الواقع الجديد . فالتحريض هنا فقد طابعه التجريدي السابق وغرس في عينية صاخبة . لذلك تأتي العناصر المأساوية لتلف هذا التحريض الجماعي بطابعها ، ولترسم من داخل أفق القصيدة بدايات لاعماق لا تزال على سطح التجربة الشعرية ، تستعير صورها من الذاكرة ، لكنها تبحث في ايقاعها الخاص عن شعرها العامودي الذي يحيل الموت من مجرد اطار تحريض الى فعل متكامل . لا يأخذ الموت هنا الدلالة المأساوية التي أضافها السيّاب الى الشعر العربي في تلك النبرة الايوبية الرهيبة الايقاع ، انه لم يصل بعد الى صياغة الوعي الجماعي من داخل مناطقه المتفجرة . فلا يزال التفجر يحمل اولا دلالة سياسية ــ تحريضية ، تطبع بقية عناصر الدلالة في القصيدة .

قد تؤشر قصيدة ابراهيم طوقان « الشهيد » لما اردناه من تحليلنا لقصيدة محمود بشكل اكثر وضوحا . فالشهيد هو اطار وصفي خلف هدف سياسي مباشر . تتوقف القصيدة عند بعض التفاصيل التي تبقى تفاصيل مجردة ، لا تحمل المعنى الانساني ، الفردي ، الا بوصفه وصفا لصورة تجريدية في الاذهان . « فالشهيد » هو من معدن يتجاوز المعدن الانساني ، ليصل الى ازدواجية المناضل ، الموت ، التي تصبح ثابتا لا يتغير . هنا وعلى ايقاع موسيقي بالغ الانضباط ، حتى يصلح ان يكون نشيدا وفي الخاتمة العامة للمقطع الشعري التي تتألف من عجز دون صدر ، تصبح الشهادة مجرد فعل اجتماعي . ويتحول الشعر الى محرض فقط . هذا البعد يعود ليسحب نفسه في قصيدة اخرى لطوقان بعنوان « الفدائي » . لكنه يبدأ في هذه القصيدة انحناءة انسانية من خلال محاولة الدخول في احشاء الفدائي المقاتل وفي حياته بالقرب من الموت :

« لا تسل عن سلامته ... روحه فوق راحته
بدلته همومه ... كفنا من وسادته »

لكنه يعود الى اللهجة الجماعية ــ السياسية . لا يتوقف الا قليلا عند اوجاع الموت ، ليحيل الموت وبسرعة الى مجرد حاجز لا بد من اختراقه وصولا الى الوطن . فاذ الموت يرتجف ، والفدائي يتقدم نحو غايته :

« هو بالباب واقف ... والردى منه خائف
فاهدأي يا عواصف ... خجلا من جرأته »

ليس الموت اذن موضوعا للشعر ، انه أحد اطاراته . فالقصيدة هي مستقبل الفعل الجماهيري . ومستقبلها هو هذا الفعل . من هنا هذا الاندغام الذي يصنع للقبيلة شاعرها ، ويحيل ظاهرات الكون الكبرى الى امتداد اجتماعي لعلاقاتها الاساسية . يؤخذ الموت هنا بأكثر معانيه الاجتماعية مباشرة انه فعل . وأمام هذا الفعل تتحدد العلاقات وتنمو . لذلك تصبح لغة القصيدة ايقاعها الخارجي كما أن الموت هو الايقاع النضالي الخارجي ويتحدد عبر هذا الحيز الاساسي دلالات الموت ، ويقفز المستوى السياسي المزوج بالذاكرة الجماعية الى المقدمة .

المستوى السياسي ــ الانتقادي

قد يكون هذا المستوى هو الموحد الاساسي لجميع عناصر القصيدة في هذه المرحلة، لكننا حين نحاول دراسة دلالات الشعر ، حاولنا من خلال موضوعاته الاساسية الكشف عن هذا الجانب التوحيدي . ونحن هنا أمامه وقد اخذ شكله الايديولوجي الاكثر وضوحا . فاذا كانت مهمات النضال المباشرة تفترض وعيا محددا ببعض